

من الاحتجاجات الشعبية العراقية إلى المعارضة الوطنية



قد يكون مثل هذا التطور، إذا ما حصل، صادما للوهلة الأولى، لكن هذه الأحزاب تعرف هذه الحقيقة، فهي وليدة من رحم المعارضة للنظام السابق، سرقت من غالبية المعارضين هذه الوصفة فاقتصرتها على ما أسمته "مظلومية الشيعة" التي انتهت مفعولها منذ وصول جيش الاحتلال الأميركي إلى الأراضي العراقية، ثم تسليم الحاكم بول بريمر السلطة إلى مجموعة مختارة بدقة من سقط المتاع لكي يصفها في ما بعد بارذل الأوصاف. إلا توجد المبررات الموضوعية لكي تتحول هذه الهبة الشعبية ضد الجور والظلم والسرقات والاستبداد والقتل إلى معارضة حقيقية وليست معارضات المقاهي ودوائر المخابرات، تضم العراقيين من النخب الفكرية والسياسية والثقافية والإعلامية ليتحولوا إلى قوة سياسية للتغيير؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
أسسها 1977
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني
مدرّس التحرير
مختار الدبائي
كرم نعمة
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي
تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778
للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

يستند على المواطنة والمساواة وينبذ الطائفية ووحدة أرض العراق وعروبته. ثالثا، تقديم رؤى سياسية واضحة معززة بالوقائع بعدم صلة النظام القائم بالديمقراطية الحقيقية التي احتلت على الديمقراطية باستخدام البياتها للحفاظ على السلطة. المواطنة التي هي قلب الديمقراطية غائبة، لا حرية ولا رأي آخر ولا حقوق للإنسان. الحقيقة تقول إنه نظام الاستبداد الطائفي. رابعا، المحافظة على هوية المعارضة الوطنية وعدم ارتباطها بالأجندات الإقليمية والدولية. وعدم التورط في لعبة التوازنات الدولية والإقليمية مثلما وقعت معارضات سوريا وليبيا واليمن، والأخطر دخول إسرائيل كطرف مهم في تلك التوازنات. خامسا، أهمية بناء الجسم التنظيمي السليم للمعارضة الوطنية يتطلب الابتعاد عن الفردية والاستئثار و"الشو" الإعلامي والترويجي على العمل الجماعي بلم شمل غالبية الكفاءات الهائلة من عراقيي المنفى، إضافة إلى الداخل حيث يشكل الأساس وقاعدة العمل المعارض. هل هي مجازفة ثورية صادمة لأحزاب السلطة أن تتحول للتظاهرات والاحتجاجات إلى معارضة سياسية منظمة؟

تشاء، فنقتل وتعقل وتحرق وتدمر، برضا حكومة بغداد، وبصمت نوري المالكي ومقتدى الصدر وهادي العامري وقيس الخزعلي، ومباركة الأسرة البارزانية، وسعادة أسامة النجيفي، وأخيه أثيل النجيفي، وأرشد الصالح، قائد الجبهة التركمانية في العراق، والخلاصة هي أن الحكام الذين نصبهم الأميركيون والإيرانيون رؤساء جمهورية ورؤساء وزارات ووزراء وسفراء ومدراء وقادة جيوش لم يكفوا، فقط، ببيع الدولة وسرقة أموالها وإفشال مؤسساتها وإشاعة الفوضى والرشوة في مفاصلها، وتجويع أهلها، وتعميق الخلافات الطائفية والعنصرية بين مواطنيها، وإشعال نار الاقتتال بين قبائلها ومحافظاتها، بل مسحوا بسرعة مياه نهريها الخالدين، دجلة والفرات، وروافدهما العديدة، وسكتوا عن قتل شط العرب، وذبول الزهر، وموت الشجر، وهروب العصافير، ونفوق السمك، واختفاء الفواكه والخضار، واستبدال أغاني الشعراء والمطربين الذين ظلوا آلاف السنين يتغنون بشواطئ دجلة وخصائص الفرات بقصائد الشكوى وبالنغم الحزين، إذن ما دامت رابطة الدين لم تتشعب، ولم تمنع، ولم تردع، فإن لغة القوة هي وحدها الرافعة الدافعة النافعة مع جيراننا الذين يخافون، ولا يستحقون. ثم، ما دام نظام المحاصصة المشؤوم لا يسمح بمعاقبة الولي الفقيه على سرقة مياه الشعب العراقي، فلينهب الكاظمي، وهو بطل الهيبة والسيادة فيستخدم سلاح التجارة والنفط والاقتصاد مع تركيا، كما استخدمه السعوديون، ويهش عليها بعضا حزب العمال الكردستاني، كما هش بها قبله حافظ الأسد فاجبرها على تقديم فروض الطاعة. فهل يفعل قبل قوات الأوان؟ أو... هل يستطيع؟

على سلطة الأحزاب فعليا وتضعها في مأزق لكي تتخلى مكرهة عن السلطة. من أجل الانتقال الصحيح والسليم إلى مرحلة المعارضة الوطنية، وقبل الدخول في اندفاعات فريدة قد تكون مدفوعة بعواطف أفرزتها ثورة أكتوبر، ولكي لا يقع هذا الجسم الطري النقي بأمراض معارضات قبل عام 2003، أبرزها الارتداء في أحضان أجهزة المخابرات الخارجية، لا بد من توفر مستلزمات الحدود الدنيا للمشروع الوطني العراقي رغم صعوبات الظروف الجيوسياسية، وفق منطلقات واليات من بينها: أولا، صحيح أن هوية ثورة تشرين - أكتوبر العامة وطنية من خلال التظاهرات والاحتجاجات، لكن هناك رؤى مختلفة داخل بعضها تم اختراقها من قبل الأحزاب الحاكمة، والسبيل الوحيد للانتقال من عموميات الشعار الوطني إلى العمل السياسي المنظم يتطلب فرزًا واضحا للتوجهات بابتعادها عن النزعات الدينية والمذهبية والقبلية والمحلية. ثانيا، وضوح هدف المعارضة في إسقاط منظومة الحكم الحالية التي ارتبطت بالفساد والقتل بأسلوب التغيير السياسي المنظم وفق برنامج تفصيلي، وقيام نظام عراقي بديل

بلاد النهرين بلا نهرين
إزاء عدوان خطير من هذا الوزن ومن هذا النوع لا يستحي رئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة مصطفى الكاظمي من إكثار الحديث عن هيبة الدولة، ولا يكف مجاهدو ميليشيات الحشد الشعبي عن "تعبير" العراقيين بانهم حماة أعراضهم، ولا يتوقف قادة أحزاب الولاء الكامل لولاية الفقيه عن الثرثرة بحب الوطن وكرامته وسيادته، ويتبعهم في ذلك ملوك دولة أربيل، وأمراء السليمانية، ولا يتخلف عن ذلك السياسيون الانتهازيون سنة الحكومة، حتى جعلوا المواطن العراقي يكره كلمة "هيبة"، ويسخر من كلمة "سيادة". فالحقيقة التي لا يعترف بها حكام المنطقة الخضراء هي أن الدولة العراقية، منذ أيام الغزو الأميركي، وتابعه الاحتلال الإيراني، وهي بلا سيادة، وحكامها بلا كرامة. فالجارة المسلمة، إيران، داخلة بالعرض والطول في هيبة الدولة العراقية وسيادتها، ولا أحد يرى، ولا أحد يسمع، ولا أحد يتكلم، والجارة المسلمة الأخرى، تركيا، تدخل بجيوشها وتخرج كما تشاء ومتى

من هنا تصبح من أولى مهمات هذه الثورة الشعبية العراقية تصحيح مسار النظام القائم من خارجه، بعد استحالة الإصلاح السياسي من داخله، وتحول شعار الإصلاح إلى ورقة في المزايدات الانتخابية. ولكي لا تتعثر هذه الثورة الأصلية أصبح من الضروري على نشاطها الإصلاء إتقان العمل السياسي المنظم غير الالتزام الواضح بمشروع وطني شامل يزيل المشروعية الديمقراطية عن الأحزاب ويضعها عن السلطة، بالوسائل السلمية حاليا، رغم خسائرها التكتيكية.

تمر أحزاب السلطة الآن بأسوأ حالاتها منذ عام 2003، فقد احترقت جميع أوراقها، وأهمها استنادها على مرجعية النجف التي تعيش الآن وضعا حرجا بسبب دعمها لتلك الأحزاب وتشريعها الفتوى التي أستغلت لبناء الميليشيات التي أعلنت بقوة عن ولائها لمرجعية قم وطهران والولي السياسي المذهبي خامنئي. ولكي تحافظ مرجعية السيستاني على مكانتها المعنوية عليها واجب الإعلان الجريء عن انتهاء غطاء الفتوى للميليشيات والتخلي عن أحزاب الفساد والقتل.

لعمري هذه الأحزاب قادرة على تمرير شعارات مثل أن المعارضة الشعبية تهدف إلى إسقاط النظام الشيعي، التي سبق أن استقادت منها في السنوات الأخيرة، اليوم تنسوق شعار الحرب الشيعية - الشيعية بعد أن ثار أهل وسط وجنوبي العراق. مرحلة النهاية هي استخدام أقصى أساليب القمع الدموي المنظم ضد الفعاليات الشعبية باستهداف الناشطين المتميزين لإرهاب الآخرين. كانت تلك الأحزاب وميليشياتها تتوقع لجوء بعض المتظاهرين إلى السلاح للدفاع عن النفس، وهو متوفر بكثرة، لتصف المتظاهرين بالإرهاب والتبعية الخارجية، لكن صعود الثوار السلمي قد أفضل هذه اللعبة، يبقى الخيار الممكن الأفضل الاعتماد على المؤسسة الوطنية العسكرية كظهير للتغيير. منطوق وقائع التاريخ يقول أن تتحول الثورة الشعبية من دائرة الاحتجاجات والتظاهرات، التي أصبح من السهل على الأحزاب وميليشياتها قمعها، إلى العمل السياسي المنظم بجمعة اشتراكية للتخليقية والإعلامية داخليا وخارجيا، لتضغط

من ألياتها الانتخابية للحفاظ على سلطة بلا إنجاز، فيما تطبق عمليا مختلف فعاليات الاستبداد والقمع المسلح بادوات القتل. تاريخ ثورات الشعوب في العصر الراهن يقول إن موجات الهبات العاطفية سرعان ما تتلاشى ويسهل قمعها وإخمادها واختراقها ثم تصفيتا إن لم تستند على مرتكزات نظرية وتنظيمية واضحة وبرامج سياسية مرحلية، شواهد ذلك في عالنا العربي ما سفي بالربيع العربي المدجن في الثورات السورية واللبيبية واليمنية التي تم اختراقها وتحويلها إلى حروب أهلية، لكن التجربة السودانية أعطت مثلا إيجابيا لثورة شعبية منظمة.

ثورة أكتوبر كشفت وأنت
«المقدس» الزائف وعزت الأحزاب
كجاميع لا علاقة لها بالدين
والمذهب ولا بالسياسة وإنما
تدير عصابات للنهب والقتل هي
الأخطر يتعرض لها العراق كما
أسقطت مهابة طهران

انجرت ثورة أكتوبر مرحلة مهمة، رغم تكلفتها من إماء الشباب، حيث كشفت وأنت «المقدس» الزائف، وعزت الأحزاب على حقيقتها كجاميع لا علاقة لها بالدين والمذهب ولا بالسياسة، إنما تدير مافيات للنهب والقتل هي الأخطر يتعرض لها شعب العراق، كما أسقطت مهابة طهران التي مرتها كورقة سياسية على عملائها حين مرقت وباست صور رموزها في شوارع كربلاء والبصرة والناصرية. تحاول أحزاب الحكم ومولوها ومرترقتها من بعض مدعي التحليل والرأي السياسي، في قنوات "الاتحاد الإسلامي" أو القنوات الأخرى، إخافة الجمهور العراقي من مخاطر ضياع النظام السياسي لذلك مطلوب الحفاظ على العملية السياسية وهي لعبة غير مُثققة الإخراج، فلن يكون تغيير هذا النظام أكثر جسامة بما حل بالعراق عام 2003 وبعده إذا ما تم على يد عراقيين شرفاء محبين لوطنهم.

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي
الغرض من هذه السطور ليس عرضا للفكر السياسي الديمقراطي والتطورات التي حصلت في دور المعارضة في النظام الديمقراطي وإشكالاتها الواقعية، فذلك مبحث نظري ليس مجاله هنا. لكن من المفيد الإشارة إلى أن واقع الحكم في العراق بعد العام 2003 استند إلى مشروعية صنعها الاحتلال لنظام ديمقراطي برمجية دستور معتل بخدمة رخيصة من أوائمه العراقيين وبمباركة من المرجعية الشيعية، هذه الحقيقة هي أحد العناصر الجوهرية لازمة السياسية العراقية.

نظريا يعتقد حكام العراق اليوم من أحزاب الإسلام السياسي الشيعي أن أهم عناصر قوتهم واستمرارهم في السلطة استنادهم على الهوية الديمقراطية للنظام القائم كسلاح استراتيجي يواجهون به الثورة الشعبية إذا ما تطور وضعها من احتجاجات ومظاهرات إلى معارضة سياسية جديّة قد تهدد النظام القائم، لكنه سلاح لم تنطل خدعته على العراقيين. رغم استناد هذه الأحزاب على النظرية التوافقية المكونانية التي لا جذور لها في العالم الديمقراطي، إنما هي "بذعة" لديكتاتورية الطائفة والإستئثار بالسلطة والانتقال بها إلى دولة الميليشيات، وهي أخطر مرحلة يمر بها العراق اليوم، لا علاقة لها بما يسمّى التداول السلمي للسلطة الذي يعني بالنسبة لها تقاسمها بطرق مافيوية.

شكلت ثورة تشرين - أكتوبر 2019 خلاصة للرفض الشعبي العام ضد حكم الأحزاب وميليشياتها المسلحة منذ عام 2003. في المراحل الأولى من الاحتلال اتخذت طابعا مسلحا بُرّ طائفا لبعض المقاومين من الشيعة، واعتبر تمردا إرهابيا لغريهم، لأن الأحزاب الشيعية كانت شريكا وعونا خادما للاحتلال. مبررات هذه الثورة لا تتعلق بمطالب خدمية، رغم أنها تشكل قضية جوهرية تتعلق بحياة الناس، إنما لمواجهة نظام سياسي وأحزاب حاكمة زيفت عمليا الهوية الديمقراطية واحتالت عليها فاستخدمت الجزء المهم

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي
لقد كان للوفرة المائية في بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات، وروافدهما الكثيرة، أهمية بالغة في صياغة تاريخها العريق، إذ أن قوة دفعها الفاعلة جعلت أهل هذه البلاد أوائل الرواد السباقين في الإبداع والابتكار والاختراع في مجالات الفلسفة والفكر والعلوم والأدب والفنون، وفي الزراعة والصناعة والاقتصاد، على مدى الالف السنين.

وقد ارتبطت حياة الملايين من البشر في بلاد ما بين النهرين بالأنهر الكبيرة والصغيرة ارتباطا حيويا لا تفكك عنه، ولم تتأثر بما شهدته البلاد من حروب وغزوات، حتى أصبح من الصعب المستحيلات أن تقوم حياة للعراقيين بلا دجلة، وبلا فرات. إلا في أيامنا الرديئة هذه التي بلغت فيها الدولة العراقية أرذل عمرها الطويل لتنتجرا عليها جاراتها المسلمتان، وتطعنهما في ظهرها، فقطعان شرايين الحياة عن أهلها المستضعفين. فقد كشف تقرير أعدته منظمة المياه الأوروبية عن حقيقة مخيفة تقول إن "العراق سيخسر واردات نهر دجلة والفرات بشكل كامل بحلول عام 2040". وذلك لأن تركيا أقامت مشروعا في جنوب شرق الأناضول أطلقت عليه اسم "GAP" يتكون من 22 سدا ضخما، منها 14 على نهر الفرات أهمها سد أتاتورك، و8 على دجلة أهمها سد إليسو الذي مكّنها من حبس نصف موارد دجلة المائية، وجعلها تحتكر 90 في المئة من مياه نهر الفرات. وقد لحص الرئيس التركي الأسبق سليمان ديميريل، دوافع الأتراك للتصرف في مياه النهرين بانفرادية أتانية مفرطة،

